إعصار كاترينا يفضح الولايات المتحدة الأمريكية (فوضى، غوغاء، عجز، وعنصرية)

07-9-2005

إن انتشار أعمال النهب والفوضى والغوغاء في الولايات الأمريكية ليست عملا استثنائيا بل هي في طبيعة هذا المجتمع الهجين، ولكن شأنها شأن جميع مشاكل الولايات المتحدة تكون مستورة تحت رداء الديمقراطية والأموال الطائلة والقوة والتزييف الإعلامي والفكري...فالمجتمع الأمريكي مقموع بهيبة الدولة الأمريكية وليس بأدواتها كالأنظمة المتخلفة، بمعنى أنه عندما يغيب أي مظهر من مظاهر الدولة سواء أكان ذلك كهرباء أو مياه أو دوريات أو كاميرات أو مراقبة،

بقلم علي حسين باكير

تابعت جميع وسائل الإعلام مسار الإعصار كاترينا الذي ضرب ولايات الساحل الجنوبي للولايات المتحدة وتداعياته طوال الفترة السابقة، لكنّ التركيز في نقل الخبر كان في مجمله على الأرقام من حيث سرعة الإعصار، قوّته، حجم المياه والأمطار التي ساقها والمسافة التي قطعها من خليج المكسيك وعدد الضحايا والخسائر الاقتصادية ...الخ.

لكن قليل من المحللين الذي ركّز على الجوانب التي رافقت هذا الإعصار والتي تتعلّق بطبيعة وحقيقة المجتمع الأمريكي للدولة الأقوى في العالم صاحبة الحضارة المزعومة والرسالة المنشورة بالقوّة. فالحضارة ليست مجرد أبراج شاهقة و قوّة عسكرية و تكنولوجية. الحضارة هي الأخلاق، هي التكاتف و التضامن بين أبناء المجتمع الواحد. هذا الإعصار أفاد أمريكا في أن القوّة ليست كل شيء وهي لا تنفع في معظم الأحوال.

وبدايتنا ستكون مع نقطة مهمة جدا وهي تسليط الضوء على الفشل الأمريكي في إدارة الأزمات.

* فشل أمريكي ذريع في إدارة الأزمات:

يأتي مصطلح إدارة الأزمات (Disaster Management) في الأساس ليشير إلى دور الدولة في مواجهة الكوارث العامة المفاجئة وظروف الطوارئ مثل الزلزال، الفيضانات، الأوبئة، الحرائق، الغارات الجوية، الحروب الشاملة. ثم تم تطوير هذا المفهوم فيما بعد ليشمل إدارة السياسة الخارجية في مواجهة المواقف الدولية ولكن هذا ليس مجال بحثنا.

وما إن ضرب الإعصار المناطق المنكوبة في الولايات المتحدة وبدأت وسائل الإعلام تنقل صور الدمار والخراب والفوضى الحاصلة حتى تذكرت في هذه اللحظة ما حصل في 11 سبتمبر 2001. الدولة غائبة, المؤسسات غير موجودة، الغوغاء والفوضى عارمة، الناس تختبئ وتهرب والبعض الآخر يسرق وينهب ولا وجود لأي مظهر من مظاهر الدولة، والأسوأ من ذلك أن هذه الدولة ما هي إلا قائدة العالم، القوة العظمى فيه الولايات المتحدة الأمريكية!!

وعلى الرغم من أن المسئولين الأمريكيين كان لديهم الوقت الكافي لتقدير مفاعيل الإعصار الكارثية قبل وصوله إلى الولايات الأمريكية، وبالتالي التحضير له واتخاذ الإجراءات المناسبة، إلا أنهم لم يتحركوا إلا بعد خمسة أيام وبشكل بطيء جدا أيضا. وما إن ضرب الإعصار الولايات الأمريكية لويزيانا والميسيسيبي وألباما، حتى بدأ التخبط في معالجة الأزمة وتقدير الخسائر.

ففي حين كانت التقديرات الأولية للمسئولين الأمريكيين تشير إلى وقوع خسائر تقارب الـ 25 مليار دولار وسقوط ضحايا بالمئات، سرعان ما انكشفت الحقيقة التي أبانت حجم الخسائر التي تتعدى المائة مليار دولار وعدد الضحايا الذي يتجاوز العشرة آلاف معظمهم من السود والفقراء. فقد توقعت شركة (ريسك مانجمنت سوليوشنز) الأميركية المتخصصة في إدارة الكوارث أن تتجاوز قيمة الأضرار التي ألحقها الإعصار كاترينا الذي اجتاح الاثنين الماضي ولايتي (لويزيانا) و(مسيسيبي) الأميركيتين مئة مليار دولار.

* على شفير الانهيار الاقتصادي:

لقد جاء الإعصار كاترينا ليعمق هشاشة الوضع الاقتصادي الأمريكي الذي يمر بمرحلة عصيبة جدّا قد تكون العامل الأول في انهيار الولايات المتحدة الأمريكية إذا لم يتم تدارك الأمر. وقد كشف هذا الإعصار أن الولايات المتحدة غير قادرة على صرف الأموال اللازمة لإغاثة مواطنيها في الوقت المناسب ولإنقاذهم من الموت المحتّم.

ولا شكّ أن الخسائر المالية والاقتصادية الناجمة عن هذا الإعصار قد تساعد على كبح جماح "الغول" الأمريكي في أماكن أخرى من العالم كالعراق وأفغانستان. فبعد يوم واحد من صدور تقرير أمريكي يحدّد تكلفة الحرب الأمريكية على العراق بـ 5,6 مليار دولار في الشهر الواحد يدفعا دافع الضرائب الأمريكي، جاءت كارثة الإعصار لتزيد الطينة بلّة كما يقال.

* كاترينا يكشف التفرقة العنصرية في المجتمع الديمقراطي الأمريكي:

أثارت الصور المريعة التي بثتها شاشات التلفزيون عن الدمار الذي أحدثه إعصار كاترينا نقاشا شائكا حول مسألة اللون في الولايات المتحدة بعد أن اتضح أن معظم الضحايا من الأميركيين السود. وهذا يدل على أن التفرقة العنصرية لازالت حاضرة بقوّة في النظام الديمقراطي الأمريكي، وأن هكذا حوادث تساهم في إزالة ورقة التوت التي تسترها وتغطي الحقيقة التي تتضمن تاريخا مقيتا من التفرقة العنصرية البغيضة وإنشاء الجمعيات المختصة في هذه العنصرية ومنها "الكوكلاس كلاين" .

يبلغ سكان مدينة نيو اورلينز نحو 1.4 مليون شخص نسبة السود من بينهم 67.3 بالمئة يعيش 30 بالمائة منهم تحت خط الفقر. ويشكل السود في كافة أنحاء البلاد 13 بالمائة من عدد السكان، يعيش 12.7 بالمائة منهم في حالة فقر. ومن تابع الصور التي نقلت عن الكارثة، يجد كأنها صور للصومال أو النيجر أو دولة من دول العالم الثالث، ولكنها في الحقيقة الولايات المتّحدة الأمريكية!! نعم هذه هي.

لقد أثارت الحقائق المؤكدة بأن الأميركيين من أصل إفريقي هم الأكثر تضررا بالكارثة المدمرة التي عصفت بعدد من ولايات خليج المكسيك، الشبهات بأن السلطات تمارس التفرقة العنصرية في استجابتها لعملية انقاذ ضحايا الإعصار. وقال عضو الكونغرس عن ولاية لويزيانا "وليام جفرسون": "لو لم يكن هؤلاء الأشخاص فقراء وسودا لما تُركوا يواجهون المأساة وحدهم في نيو أورليانز"، مؤكدا أن معظم الضحايا لم يتمكنوا من الفرار من وجه الإعصار لأنهم لم يكونوا يملكون سيارات أو أموال يدفعونها للفنادق.

وصرح جفرسون لتلفزيون "ام.اس.ان.بي.سي" أنه: "في نيو اورلينز، أفقر الناس وأكثرهم احتياجا هم السود ولا شك في ذلك. ولذلك فإنني أشك في أن وقت الاستجابة وغير ذلك له علاقة بلون هؤلاء". وقال عضو الكونغرس الايجا كمنغز: "إن ما يحدد من عاشوا ومن قتلوا في هذا الإعصار المدمر والفيضانات هو الفقر والسن ولون البشرة". وأضاف: "لقد أجريت نقاشا بناء مع كبير مساعدي الرئيس للسياسة الداخلية، وقال إن الرئيس يتحرك بأسرع ما يمكن، وأنهم (الإدارة الأميركية) يبذلون ما في وسعهم، ولا أعتقد أن ذلك صحيح".

وقد لزمت معظم القنوات التلفزيونية الأميركية الصمت حيال الدور الذي لعبه اللون في سرعة الاستجابة للكارثة، إلا أن العديد من الصحافيين أشاروا إلى وجود جدل حول مسالة العرق في الولايات المتحدة. وكتب ديفيد بروكس في صحيفة نيويورك تايمز: "دائما ما نتجه إلى التفكير في أنه عندما تقع الأعاصير والفيضانات، فإن الناس يجتمعون لتقديم المساعدات والمواساة". وأضاف: "ما يحدث في نيو اورلينز والمسيسيبي الآن هو مأساة إنسانية، ولكن عندما نلقي نظرة فاحصة على الناس الذين تراهم يهيمون على وجوههم، وقد فقدوا كل شيء في نيو اورلينز، يتبين أن معظمهم من السود والفقراء!!".

* الغوغاء والفوضى دليل تفكك وانهيار منظومة القيم الاجتماعية:

إن انتشار أعمال النهب والفوضى والغوغاء في الولايات الأمريكية ليست عملا استثنائيا بل هي في طبيعة هذا المجتمع الهجين، ولكن شأنها شأن جميع مشاكل الولايات المتحدة تكون

مستورة تحت رداء الديمقراطية والأموال الطائلة والقوة والتزييف الإعلامي والفكري.

فالمجتمع الأمريكي مقموع بهيبة الدولة الأمريكية وليس بأدواتها كالأنظمة المتخلفة، بمعنى أنه عندما يغيب أي مظهر من مظاهر الدولة سواء أكان ذلك كهرباء أو مياه أو دوريات أو كاميرات أو مراقبة، تدبّ الفوضى وتبدأ عمليات الغوغاء والسلب والنهب والاغتصاب...الخ، فيكفي أن تقطع الكهرباء مثلا مدّة ساعة في الولايات المتّحدة حتى تسمع العجب العجاب عمّا يحصل. وهذا هو الفرق بين هكذا مجتمعات والمجتمعات الشرقية والإسلامية التي تلتزم بمراقبة ذاتية وأخلاقية ودينية في مجملها. فغياب الكهرباء لا يشكل علامة فارقة عندها ولا ينشر الفوضى والنهب والسلب، وكذلك الأمر في جميع مظاهر الدولة وحضورها، وليس ضروريا أن تكون هناك دورية في كل شارع وحي حتى يكون هناك أمان والتزام.

وعودة إلى الموضوع، حذرت حاكمة ولاية لويزيانا كاثلين بلانكو مثيري أعمال الشغب واللصوص في نيوأورليانز من أن قوات الحرس الوطني لديها أوامر بإطلاق النار والقتل لإنهاء العنف الذي تفشى في المدينة عقب الإعصار. وقد سادت الفوضى شوارع نيوأورليانز المنكوبة مما دفع المسئولين إلى طلب نشر آلاف الجنود في المدينة الغارقة بالمياه للحفاظ على الأمن والنظام ومكافحة أعمال النهب والسلب.

وقال شهود عيان إن اللصوص سرقوا آليات عسكرية واستخدموها لتحطيم أبواب ونوافذ صيدليات ومخازن لبيع السلع المنزلية، وشوهد بعض من شاركوا في أعمال النهب وهم يخرجون في هدوء من المتاجر حاملين المسروقات.

وطالت عمليات النهب أيضا ملاجئ لإيواء العجزة، ووسط حالة الفوضى هذه خرج مواطنون مسلحون إلى الشوارع في محاولة لإقرار النظام بالمدينة، بينما جلس أصحاب المتاجر في المناطق التي لم تغمرها المياه يحرسون أموالهم بأسلحتهم الخاصة.
وقال راي ناغين: "إن أعمال النهب التي عمت المدينة منذ أن ضربها الإعصار طالت المستشفيات والفنادق ولا بد لنا من أن نتحرك لوقف هذه الأعمال". وقالت وفونيت جريس جوردان التي لديها خمسة أطفال أصغرهم عمره ستة أسابيع فقط: "إنهم يجعلوننا نعيش هنا كالحيوانات، نحصل فقط على وجبتين وليس هناك أدوية، هذه هي الولايات المتحدة الأمريكية"!!.

* نخوة والكرم العربي الأصيل تجاه أمريكا!!

انهالت المساعدات الإنسانية الماديّة والعينية الفنية وغيرها على الولايات المتّحدة إثر هذه الكارثة ولا شيء غريب في هذا باستثناء بعض المفارقات عن تقديم ألد من اعتبرتهم أمريكا خصومها ومنهم فنزويلا وكوبا مساعدات لها. لكن ما كان غريبا فعلا أن ترسخ هذه الكارثة منطق ازدراء الدول العربية لشعوبها وإخلاصها المتفاني بمساعدة "الصديقة أمريكا"، طبعا لمن لا يزال يشكّ بعكس ذلك. وقد كان لافتا أن الدول العربية ولاسيما الخليجية منها كانت أولى المبادرين إلى نجدة "الإخوة الأمريكيين" وحكومتهم من آثار الكارثة حتى قبل الحكومة الأمريكية نفسها، وإن كان ذلك مفهوما إلى حد معقول إذا استخدمنا المبرر الإنساني كذريعة، لكن غير المفهوم أبدا أن هذه الدول الخليجية والتي لا تزيد مساحتها عن مساحة بعض المجمعات الرياضية في ولاية من الولايات الأمريكية قامت بتقديم مساعدات بل هبات بقيمة تعادل 100 ضعف ما قدّمته

مثلا دولة عظمى مثل الصين!! أو 500 ضعف مما قدّمته دولة لا يوجد فيها بطالة نهائيا مثل النرويج!!

لقد قدّمت دولة الكويت هبة بمبلغ نصف مليار دولار لأغنى دولة في العالم، فيما قامت قطر بتقديم هبة بلغت 1 مليون دولار دون أن نذكر الدول الخليجية الأخرى. ألم يكن من الأجدر أن تتبرع هذه الدول لشعوبها؟!! تصوروا أن دولة مثل الكويت لا يتعدى عدد سكانها الأصليين مليون ونصف كأقصى تقدير يوجد فيها بطالة وأزمات اجتماعية ودرجات في المواطنة ومشكال مثل البدون وغيرها، تتبرع بهذه الأموال إلى أغنى دولة في العالم، ماذا تقولون عن ذلك؟!! تصوروا أن جميع المساعدات الخليجية للشعب المسلم الذي ضربه التسونامي في آتشيه لم تتعدى مبلغ 70 مليون دولار!! الشعب العراقي يموت جوعا وأهل الصومال يشحذون الطعام والعالم العربي والإسلامي يعاني من بطالة شديدة هي الأعلى في العالم ومن جهل وفقر وتخلف وتفكك وتسديد فوائد الديون العربية، يكاد يساوي كامل الدخل والكويت وحدها تتبرع بنصف مليار دولار دون أن نذكر قطر والسعودية والإمارات وغيرها، ماذا نستطيع أن نقول في ذلك؟ بل ماذا بقي لكي نقول في ذلك؟ .. انتهى.